كُلِّيَّةُ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ والعربيَّةِ في سطور

كلية الدراسات الإسلامية والعربية مؤسسة جامعية من مؤسسات التعليم العالي في الدولة وهي واحدة من منارات العلم في دبي ومركز رافد لتنمية الثروة البشرية في دولة الإمارات.

قام على تأسيسها معالي جمعة الماجد وتعهدها بالإشراف والرعاية مع فئة مخلصة من أبناء هذا البلد آمنت بفضل العلم وشرف التعليم.

- رعت حكومة دبي هذه الخطوة المباركة، وجسّدها قرار مجلس الأمناء الصادر في عام ١٤٠٧هـ الموافق العام الجامعي ١٩٨٦/١٩٨٧م.
- صدر قرار رئيس جامعة الأزهر رقم ١٩٩٥ م لسنة ١٩٩١ م بتاريخ ٩/ ٧/ ١٩٩١م بمعادلة الشهادة التي تمنحها الكلية بشهادة الجامعة الأزهرية.
- وبتاريخ ٢/ ٤/ ١٤١٤هـ الموافق ١٨/ ٩/ ١٩٩٣م أصدر معالي سموّ الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي في دولة الإمارات القرار رقم (٥٣) لسنة ١٩٩٣م بالترخيص للكلية بالعمل في مجال التعليم العالي.
- ثمّ أصدر القرار رقم (٧٧) لسنة ١٩٩٤م في شأن معادلة درجة الليسانس في الدراسات الإسلامية والعربية الصادرة عن الكلية بالدرجة الجامعية الأولى في الدراسات الإسلامية.
- ثمّ صدر القرار رقم (٥٥) لسنة ١٩٩٧م في شأن معادلة درجة الليسانس في اللغة العربية التي تمنحها كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي بالدرجة الجامعية الأولى في هذا التخصّص.
- ضمّت الكلية في العام الجامعي العشرين ١٤٢٦/١٤٢٧هـ الموافق ٢٠٠٥/٢٠٠٦م (١٣٤٦) طالب (٢٣٣٨) طالبة.
- احتفلت بتخريج الرعيل الأول من طلابها في ٢٣ شعبان ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩٢/١٢/٢٦م تحت رعاية صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي.
- واحتفلت الكلية بتخريج الدفعة الثانية من طلابها والأولى من طالباتها في ١٤١٣/١٠/٢٩هـ. الموافق ١٩٩٣/٤/٢١م.
- ستحتفل الكلية هذا العام ٢٠٠٥/٢٠٠٦م بتخريج الدفعة الرابعة عشرة من الطلاّب والدفعة الثالثة عشرة من الطالبات في تخصّص الدراسات الإسلامية، والدفعة الثانية من الطلاب والدفعة السادسة من الطالبات في تخصص اللغة العربية.

الدراسات العليا بالكلية خطوة رائدة

أنشىء قسم الدراسات العليا بالكلية في العام الجامعي ٩٥/١٩٩٦م ليحقّق غرضًا ساميًا وهدفًا نبيلاً، وهو إعداد مجموعة من طلبة هذه الدولة للتعمّق في الدرس والبحث والقيام بالمهام المرجوة في الجامعات ودوائر البحث العلمي وسائر المرافق، ولتجنّب مشكلات اغتراب الطلبة عن الأهل والوطن وخاصّة الطالبات.

يخوّل البرنامج الملتحقين به الحصول على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية واللغة العربية والتسجيل فيما بعد في برنامج الدكتوراه في الفقه الإسلامي الذي شرع فيه بدءاً من العام الدراسي ٢٠٠٤/٢٠٠٥م.

وقد صدر قرار معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي رقم (٥٦) لسنة ١٩٩٧م بمعادلة درجة الدبلوم العالي في الفقه الإسلامي التي تمنحها بدرجة الدبلوم العالي في هذا التخصّص.

كما صدر القرار رقم (٥٧) لسنة ١٩٩٧م بمعادلة درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية (الفقه الإسلامي) التي تمنحها الكلية بدرجة الماجستير في هذا التخصّص.

(يتبع في صفحة الغلاف الداخلي الأخيرة)

مَجَلَّـــة
كُلِّيَّةِ الدِّراساتِ الإِسلاميَّةِ والعربيَّة

مجلة علمية محكّمة
نصف سنويّة

العدد الثلاثون

ذو القعدة ١٤٢٦ هـ - ديسمبر ٢٠٠٥م

ردمد: 1607-209X

تفهرس المجلة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

رد متأخر:
مقابلة بين قصيدة نقفور فوقاس وقصيدة ابن حزم

د.محمد محمود الخزعلي*

قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة اليرموك اربد – الأردن

ملخص البحث:

هذه مقابلة بين قصيدة الإمبراطور البيزنطي نقفور فوقاس ٩٦٣-٩٦٩، التي أرسلها إلى الخليفة العباسي المطيع ٩٤٦-٩٧٤، وقصيدة ابن حزم الأندلسي ت١٠٦٤ التي يرد فيها على قصيدة نقفور. لقد عبرت قصيدة نقفور عن افتخاره بما أحرزه من انتصارات على المسلمين وبما احتله من ديارهم، إضافة إلى تهديده بأنه سيحتل كل أراضي المسلمين ليقضي على الإسلام وليحل المسيحية مكانه. ويفند ابن حزم حجج نقفور ويقلل من شأن انتصاراته على المسلمين مقارنة بانتصارات المسلمين على البيزنطيين في الماضي. ويؤكد ابن حزم كذلك أن نقفور لن يستطيع تحقيق أحلامه بإزالة الإسلام، لأن المسلمين سيدافعون عن أرضهم وعن دينهم.

وإلى جانب هذا، أثارت الدراسة مجموعة من المسائل تتعلق بمدى موثوقية نسبة القصيدة إلى ابن حزم في رأي كاتب هذه الدراسة.

مقدمة:

لا يحتاج الباحث للتأكيد على أن الصراع بين العرب والبيزنطيين لم يتوقف منذ الفتوحات الإسلامية مروراً بالحملات الأموية، لكنه عاد لتزداد ناره استعاراً في العصر العباسي، وليأخذ شكل ما عرف بحرب الثغور. لكن الصراع دخل طوراً جديداً بعد ضعف الدولة العباسية المركزية، لتتولى دول المقاطعات شبه المستقلة عن السلطة المركزية مهمة الدفاع عن حياض المسلمين وحدودهم. وهذا ما فعله، في القرن الرابع الهجري، الحمدانيون في الشام والإخشيديون في مصر والفاطميون في شمال إفريقيا ومصر حيث تصدى هؤلاء الأخيرون للصراع مع البيزنطيين في جزر البحر المتوسط.

وقد أخذ الصراع في الشام شكل الكر والفر، والغزو والغزو المضاد، خاصة في سلسلة جبال طوروس ذات الحصون المنيعة الكثيرة. وقد تولى الحمدانيون، بقيادة سيف الدولة الحمداني، مهمة الدفاع عن أراضي المسلمين حيث كثرت إغارات البيزنطيين كلما تراءى لهم ضعف في جانب المسلمين. وهكذا ظل سيف الدولة طيلة عشرين عاماً يصارع البيزنطيين ليردهم عن الحدود أو ليتوغل في ديارهم ليثخن في الأعداء قتلاً وأسراً وغنما.

ولم يكن الشعر بعيداً عن ذلك الصراع، بل كان أحد الأسلحة الرئيسة في تلك المعارك. وكان بلاط سيف الدولة يعج بكبار الشعراء العرب الذين صلوا البيزنطيين بلهيب قصائدهم من أمثال النامي، والسري الرفاء، وأبو فراس الحمداني، وابن نباتة السعدي، والمتنبي شاعر العرب الأكبر الذي كان يغمس يده في حمأة معارك سيف الدولة ليقبس منها شواظاً يقذف به وجوه البيزنطيين، وليشيد بأمجاد سيف الدولة الذي رأى فيه مثلاً للبطل العربي المسلم. وفي هذا السياق تأتي القصيدة التي بعثها نقفور فوقاس إلى الخليفة المطيع، وهي موضع دراستنا هذه مع رد ابن حزم عليها.

كان نقفور فوقاس Nicephore Phocas، قبل أن يعتلي عرش بيزنطة، واحداً من أهم قادة

الجيش البيزنطي، ومن أكثرهم مقاتلة لجيوش المسلمين. لقد حارب سيف الدولة الحمداني وكانت الحرب سجالاً بينهما مدة عشرين عاماً، إلى أن ضعفت شوكة سيف الدولة بعد معركة مغارة الكحل عام ٣٤٩هـ/٩٦٠م. وقد استولى البيزنطيون بعد ذلك على العديد من الثغور الشمالية، إلى أن ورد نقفور حلب سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة بمائتي ألف فارس، كما يقول ابن الأثير "وجال فيها جولة، ففرّ من بين يديه صاحبها سيف الدولة ففتحها عنوة وقتل من أهلها ما لا يعلمه إلا الله وخرب دار سيف الدولة التي بظاهر حلب[١]". وفي عام ٣٥٢هـ/٩٦٣م، اعتلى نقفور هذا عرش بيزنطة إلى أن قتل عام ٣٥٩هـ/٩٦٩م. وبعد اعتلائه العرش أرسل إلى الخليفة العباسي المطيع ٣٣٤هـ-٣٦٣هـ، رسالة أخذت شكل قصيدة نظمها له أحد كتابه، سماها ابن كثير[٢] بالقصيدة الأرمنية المخذولة الملعونة. في هذه القصيدة يذكر نقفور انتصاراته على المسلمين ويعدد ما استولى عليه من ديارهم ويتوعدهم بأنه سيستولي على بقية العالم الإسلامي - آنذاك، من كريت مروراً بمصر حتى آخر حدود دولة الإسلام شرقاً[٣]، ليقتلع الإسلام من جرثومته ويحل المسيحية محله.

مما يثير الاستغراب أنه لم يتصد للرد على هذه القصيدة أي من شعراء العرب الكبار آنذاك، كالمتنبي والنامي وأبي فراس الحمداني وسواهم من الشعراء. ويقول ابن كثير، الذي أورد القصيدة، "ولم يبلغني عن أحد من أهل ذلك العصر أنه رد عليه جوابه، إمّا لأنها لم تشتهر، وإما لأنه أقل من أن يردوا خطابه لأنه كالمعاند الجاحد[٤]". ثم يورد بعد ذلك قصيدة ابن حزم الأندلسي ٣٨٤هـ-٤٥٦هـ في الرد عليها، ولا يذكر المصدر الذي استقى منه قصيدة ابن حزم مع أنه يذكر المصدر الذي أخذ عنه قصيدة نقفور؛ حيث يذكر أنه أخذها عن ابن عساكر الذي أخذها بدوره من كتاب صلة الصلة للفرغاني المتوفى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة هجرية. أما السبكي ت٧٧١هـ، فقد أورد في كتابه طبقات الشافعية، قصيدة نقفور، وكذلك قصيدة الإمام القفال الشاشي الكبير ت٣٦٦هـ، التي نظمها رداً على قصيدة نقفور. وقد ذكر السبكي على لسان عبد الملك بن محمد الشاعر الذي كان فيمن غزا الروم من أهل خراسان وما وراء النهر، عام النفير، عام ٣٦٣هـ وفيهم يومئذ أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال، إمام المسلمين، قوله:

فوردت من نقفور عظيم الروم على المسلمين قصيدة ساء تهم وشقت عليهم،لما كان

اللعين أجرى إليهم فيها من التثريب، والتعيير، وضروب الوعيد والتهديد، وكان في ذلك الجمع غير واحد من الأدباء والفصحاء، والشعراء،من كور خراسان وبلاد الشام، ومدائن العراق، فلم يكمل لجوابها من بينهم إلا الشيخ أبو بكر القفال[٥].

إن تفسير ابن كثير لعدم تصدي أحد من الشعراء في ذلك العصر للرد على القصيدة لأن القصيدة حسب رأيه لم تشتهر أو لأن صاحبها أقل من أن يرد عليه لأن خطابه كالكافر الجاحد، تفسير غير مقنع عندنا. إن عبارة " ساء تهم وشقت عليهم " تبين أن القصيدة اشتهرت وذاعت وتبين كذلك تأثر المسلمين بخطاب ذلك " الكافر الجاحد ".ومتى كان الخطاب لا يرد عليه لأنه خطاب كافر جاحد ؟ إن التفسير المقنع عندنا هو الرعب الذي أوقعه نقفور في نفوس المسلمين وقلوبهم بحيث أفقدهم الثقة بأنفسهم وأفقدهم كذلك الإيمان بإمكانية رد نقفور عن أي شيء يريده، وهذا واضح من قول ابن الأثير " وهابه المسلمون هيبة عظيمة، ولم يشكوا في أنه يملك جميع الشام ومصر والجزيرة وديار بكر لخلو الجميع من مانع"[٦]. ويؤكد هذا ما أورده المؤرخ يحيى بن سعيد الأنطاكي[٧] من أن المسلمين تيقنوا أن نقفور سيستولي على كل بلاد الشام وسائر الأقاليم وأن بإمكانه أن يستولي على أي أرض يريدها من بلاد المسلمين، إذ أن الغارات على بلاد المسلمين أصبحت متعة لعساكره، وأنه لم يعد ثمة وجود لمن يردهم أو يقاومهم.

وفي حين أورد السبكي قصيدة القفال الشاشي بإسناد حسن، فإنه يورد قصيدة ابن حزم دون ذكر للمصدر الذي أخذ عنه، مكتفياً بقوله : " وقد وقفت للفقيه أبي محمد بن حزم الظاهري على جواب عن هذه القصيدة الملعونة، أجاد فيه، وكأنه لم يبلغه جواب القفال"[٨]. وقد ذكر ابن خير في فهرسته[٩] أن للفقيه أبي الإصبع عيسى ابن موسى بن عمر بن زروال الشعباني الغرناطي قصيدة يرد فيها على قصيدة نقفور مطلعها:

من الملك المنصور من آل هاشم   سليل السراة المنجبين الأعاظم

ويذكر أنها في مائة واثنين وسبعين بيتا. ومما يؤسف له أن هذه القصيدة لم تصلنا كما وصلنا ردا القفال الشاشي وابن حزم.

تثير قصيدة نقفور، وما كتب من شعر في الرد عليها، العديد من القضايا والتساؤلات، لكننا سنكتفي هنا بمقابلة بين قصيدة نقفور وقصيدة ابن حزم نناقش فيها كيفية وصول

قصيدة ابن حزم إلينا ومدى اطمئناننا لنسبتها إلى ابن حزم، كما نناقش القضايا الفكرية والفنية التي تثيرها كل من القصيدتين. وستقوم مناقشتنا لمدى الموثوقية في نسبة القصيدة إلى ابن حزم على مناقشة عوامل خارجية وأخرى داخلية بالنسبة إلى القصيدة. أما الخارجية فتتعلق بالمناسبة التي قيلت فيها القصيدة، وبكيفية وصولها إلينا.

لقد وصلتنا قصيدة ابن حزم عن طريق ابن كثير والسبكي، وهما عالمان دمشقيان من علماء القرن الثامن الهجري. ولم يذكر أي منهما كيف وصلته القصيدة. ولكن يبدو مما أورده ابن كثير أن ابن حزم قال القصيدة في مجلس عام حيث " قالها ارتجالاً حين بلغته هذه الملعونة غضباً لله ولرسوله ولدينه كما ذكر ذلك من رآه[١٠]." ولم يذكر هذه القصيدة أحد من الأندلسيين الذين ترجموا أو تحدثوا عن ابن حزم سوى ابن خير. وجاء ذكر ابن خير للقصيدة مبتسراً لم يزد على ذكر مطلعها وأنها في مائة وتسعة وثلاثين بيتا. وابن خير هذا توفي عام ٥٧٥ هـ أي بعد وفاة ابن حزم بما يزيد على مائة عام. وهو يسند القصيدة إلى شيخه الخطيب أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح المقرئ قراءة منه عليه (أي من ابن خير على شريح). وقد جاء في تذكرة الحفاظ[١١] أن شريحاً روى عن ابن حزم بالإجازة ولم يرو عنه مباشرة، حيث أنه ولد عام ٤٥١هـ أي قبل وفاة ابن حزم بخمس سنين فقط. وقد أورد الذهبي أيضا في سير أعلام النبلاء قوله:

قال أبو الوليد بن الدباغ(أن شريحا) له إجازة من ابن حزم، أخبرني بذلك ثقة من أصحابنا أنه أخبره بذلك، ولا أعلم في شيوخنا أحدا عنده عن ابن حزم غيره، وقد سألته: هل أجاز له ابن حزم؟ فسكت، وأحسبه سكت عن ابن حزم لمذهبه.[١٢]

إن عبارة " ولا أعلم في شيوخنا أحداً عنده عن ابن حزم غيره " تشكك في صحة أن يكون ابن حزم قد أجاز فعلاً شريحا. ولماذا يجيز طفلاً لم يتجاوز الخامسة من عمره- على أكثر تقدير - ولا يجيز لأي من علماء عصره ؟ ومما يزيد في الشك أيضاً سكوت هذا الثقة عن الإجابة عن سؤال أبي الوليد إن كان حقاً أجاز له ابن حزم، ولا نظن أن سكوته كان بسبب مذهب ابن حزم كما حسب أبو الوليد.

ولم يذكر صاعد[١٣] الأندلسي، تلميذ ابن حزم، شيئاً عن هذه القصيدة في حديثه عن ابن حزم. والحميدي[١٤]، تلميذ ابن حزم الآخر، والذي يقول ابن بشكوال عنه أنه "اختص

بصحبة ابن حزم واشتهر بها"[١٥]، لم يذكر القصيدة مع أنه كما يقول قد جمع ديوان ابن حزم على حروف المعجم. وينقل صاحب الذخيرة[١٦] فصلاً لأبي مروان ابن حيان، معاصر ابن حزم، ويذكر العديد من مؤلفاته وبعض أشعاره، ولكنه لا يذكر شيئاً عن القصيدة. ويتحدث صاحب النفح[١٧] عن ابن حزم حديثاً مطولاً ولا يأتي على ذكر للقصيدة. أما من غير الأندلسيين؛ فقد أورد الذهبي في تاريخ الإسلام[١٨] أسماء مؤلفات ابن حزم وذكر أمثلة من شعره ومقتبسات مما قيل فيه،لكنه لم يذكر شيئاً عن القصيدة، ومثل هذا فعل في كتابه الآخر "سير أعلام النبلاء[١٩]". ولا يختلف عن هذا ما نجده عند ياقوت الحموي[٢٠] وابن خلكان[٢١].

أما المحدثون، فقد أورد بعضهم القصيدة دون ما تعليق. فإحسان عباس، على سبيل المثال، يوردها دون أي تعليق عليها، مكتفياً بإيراد ملاحظات نسبها إلى الفرغاني صاحب صلة الصلة، ويذهب إلى أن الفرغاني قال: إن قصيدة نقفور وردت إلى مجلس المعتد بالله الذي حكم في قرطبة بين عامي ٤١٨هـ-٤٢٢هـ، على الرغم من أن الفرغاني قد توفي عام ٣٦٢هـ، ويورد كذلك أن ابن حزم، عند سماعه للقصيدة في مجلس المعتد بالله، اهتز غضباً لله عز وجل ولرسوله ولدينه وارتجل قصيدة على البديهة[٢٢]. إنه لمن غير الممكن أن يذكر الفرغاني، المتوفي سنة ٣٦٢هـ، ذلك عن ابن حزم الذي ولد عام ٣٨٣هـ أي بعد مرور إحدى وعشرين سنة على وفاة الفرغاني. وقد أخبرني إحسان عباس[٢٣] أنه نقل هذه المعلومات عن مخطوط بدا كأنه ديوان ابن حزم وإذا به يحتوي على قصائد قليلة لابن حزم مختلطة بشعر للمعري.

وأخبرني كذلك أن ذلك المخطوط لم يعد في حوزته. وأورد عبد الكريم خليفة القصيدة في ذيل كتابه[٢٤] مكتفياً بتقديم يشبه تقديم إحسان عباس. وذكر نصرت عبد الرحمن[٢٥] قصيدة ابن حزم بوصفها واحدة من ردين على القصيدة التي أرسلها نقفور للخليفة العباسي المطيع. وقدم نصرت عبد الرحمن ملخصاً لمضمون قصيدة ابن حزم.

أما صلاح الدين المنجد[٢٦] فقد حقق كلاً من قصيدة نقفور وقصيدة الشاشي وقصيدة ابن حزم ونشرها معاً في كتاب، معتمداً في عمله هذا على ما أورده ابن كثير والسبكي. وقد ذكر المنجد أن ابن حزم قال قصيدته في مجلس المعتد بالله آخر خلفاء بني أمية في

الأندلس والذي بويع بالخلافة عام ٤١٨هـ، وخلع عام ٤٢٢هـ، وتوفي ٤٢٨هـ، وذلك أن قصيدة نقفور قد وردت من الشرق إلى مجلس المعتد، فاهتز ابن حزم عند سماعها وارتجل قصيدته على البديهة[٢٧].

ويورد مؤلف آخر الأمر بطريقة غريبة؛ ويذكر نقلاً عن إحسان عباس -كما يبدو- أن نقفور أرسل قصيدته إلى المعتد بالله آخر خلفاء بني أمية بالأندلس، وأن ابن حزم كتب قصيدته بعد أن اهتز لسماعه قصيدة نقفور، في مجلس الخليفة[٢٨]. من الواضح أن هذا المؤلف قد أساء الاقتباس عن إحسان عباس، وأن الأمر قد اختلط عليه؛ إذ أن القصيدة -كما هو معروف- قد أرسلها نقفور إلى الخليفة العباسي المطيع قبل حوالي سبعين عاماً من ورودها إلى مجلس المعتد بالله الخليفة الأموي بالأندلس.

ليس المستغرب أن يرد ابن حزم، أو غيره، على قصيدة نظمت قبل سبعين سنة، ولكن المستغرب عندنا أن يكون الرد كما لو أنه رد على قصيدة قيلت على التو أو لم يمضِ عليها وقت طويل تغيرت خلاله أمور كثيرة. وهذا طبعاً ينقلنا إلى مناقشة العوامل الداخلية التي تتعلق في مدى موثوقية نسبتها إلى ابن حزم. فإذا جاز لنقفور أن يرسل رسالته "من الملك الطهر المسيحي مألك" إلى "الملك الفضل المطيع أخي العلا" موجهاً بذلك خطابه إلى من هو ند له ومعاصر له أيضاً، كيف يجوز لابن حزم أن يوجه خطابه إلى نقفور أو إلى من نظم قصيدته نيابة عنه؟ أو لم يقتل نقفور عام ٣٥٩هـ أي قبل نظم قصيدة ابن حزم بحوالي ستين عاما؟ وهذا ينسحب على المطيع – حيث يقول عنه:

دعوت إماماً ليس من أمر آله ... بكفيه إلا كالرسوم الطواسم

دهته الدواهي في خلافته كما ... دهت قبله الأملاك دهم الدواهم

ولو أنه في حال ماضي جدوده ... لجرعتم منه سموم الأراقم[٢٩]

فالشاعر يتحدث هنا عن المطيع كما لو أنه ما زال حياً وأنه سيذيق الأعداء شر الهزائم لو كانت أمور دولته كما كانت أيام جدوده في الماضي. لقد سجل التاريخ أن الدواهي التي حاقت بخلافة المطيع -كما يذكر الشاعر- قد تفاقمت في خلافة من أتوا بعده بسبب تسلط بني بويه على الخلافة، بشكل رئيسي، وأن الخليفة القادر ٣٨١-٤٢٢/٩٩١-١٠٣١م معاصر ابن حزم، على الأقل في الزمن المفترض لكتابة القصيدة، أي حوالي

٤٢٠هـ، لم يكن له من السلطان من شيء. ويذكر التاريخ كذلك أن رومانوس الثالث ١٠٢٨-١٠٢٤ إمبراطور بيزنطة معاصر ابن حزم، قد حلت به هزيمة في بلاد الشام عند أنطاكية وهزيمة أخرى أشد عند حلب عام ١٠٣٠، وترتب على ذلك أن تعرضت بيزنطة لمحنة حقيقية خلال حكم هذا الإمبراطور. وقبله كان الإمبراطور باسيل الثاني قد تعرض لهزيمة عند حصن طرابلس عام ٩٩٩م عقدت على إثرها هدنة مع الفاطميين عام١٠٠١م واستمر السلام إل نهاية عهد باسيل الثاني هذا[٣٠]. ومع ذلك لا نجد لهذه الأحداث أي ذكر أو صدى في القصيدة، كما لو أن ابن حزم لم يسمع بها أو لم تحدث أبداً.

لقد جاء رد ابن حزم مجارياً لما جاء في قصيدة نقفور، وكأن ابن حزم يرد عليها وقت إرسالها إلى الخليفة المطيع. لقد جاءت قصيدة نقفور على أسلوب الرسائل؛ فقد حددت في البيتين الأول والثاني المرسل والمرسل إليه "من الملك الطهر المسيحي مألك"، ثم "إلى الملك الفضل المطيع أخي العلا"[٣١]. واتبع ابن حزم الأسلوب نفسه، إلا أن تحديد المرسل والمرسل إليه استغرق الأبيات الأربعة الأولى من القصيدة "من المحتمي بالله رب العوالم"، حتى "إلى قائل بالإفك جهلاً وضلة"[٣٢]. ويتضح من هذه الأبيات الأربعة الأولى طغيان النزعة الدينية والحدة في الرد على قصيدة نقفور، وهذا يشبه أسلوب ابن حزم في مجادلاته مع أصحاب الملل ودفاعه عن الإسلام في ردوده على بعض أصحاب الديانات الأخرى[٣٣]. ومع أن نقفور قد التزم في قصيدته بتقاليد الفروسية من حيث أن لا يحط الفارس من قدر نده في خطابه له، بل يخاطبه بالتبجيل، كما يفعل نقفور هنا، فإن ابن حزم يخاطب نقفور بطريقة تحط من قدره وتصف ما قاله بالإفك والضلال.

وحين يخاطب نقفور المطيع بأن الوهن والضعف قد حاق بدولته وأنه – أي نقفور – يستطيع أن يدخل ويحتل ما يشاء من ثغور المسلمين دون أن يجد من يصده، نجد ابن حزم يرى أن هذا أمر عارض نتج عن ضعف الخليفة الذي لم يعد يسيطر على تصريف الأمور في دولته؛ وأن هذا الأمر العارض والوهن الطارئ لمما يصيب جميع الناس وأن هذا أصاب دولاً عديدة قبل المطيع، وعليه فليس في هذا ما يثير العجب؛ فهذا طبع الحياة:

ولا عجب من نكبة أو ملمة ... تصيب الكريم الحر وابن الأكارم

ولو أنه في حال ماضي جدوده ... لجرعتم منه سموم الأراقم[٣٤]

لذلك لا يفقد ابن حزم الأمل والرجاء في إصلاح الحال وإعادة الأيام إلى سيرتها الأولى، وهو أمر مرهون بمشيئة الله وعطفه وعودة المسلمين إلى جادة الصواب والتمسك بأهداب الدين، فعسى ذلك يرمم ما وهي ويصلح ما انخرم ويصل ما انقطع، فتعود الحال إلى ماضيها المشرق العزيز:

عسى عطفة لله في أهل دينه	تجدد منه دراسات المعالم(٣٥)

ولعل ما دفع ابن حزم إلى أن يدعو الله أن يعيد الأمور إلى عهد قوتها في السابق في الشرق، هو شعوره بأن وضع الخليفة العباسي المطيع، والخلافة العباسية بشكل عام آنذاك، مشابهة لما حل بالخلافة الأموية في الأندلس في سنواتها الأخيرة، حيث اشتدت المنافسة بين أفراد البيت الأموي طمعاً بالخلافة، وحيث تعرضت الأراضي الإسلامية إلى هجمات الإسبان المتكررة، إضافة إلى الخصومات مع الفاطميين والدويلات المحلية الأخرى في الأندلس والمغرب، التي أخذت تنافس الأمويين على الحكم في الأندلس. كل هذا ترك الخلافة الأموية في الأندلس في أضعف حالاتها إلى أن سقطت نهائياً عام ٤٢٢ هـ على أيدي الحموديين، الذين كانت لهم إمارة في شمال المغرب، وكانوا أيضاً طالبيين، مما يعني أنهم كانوا حلفاء للفاطميين الخصم التقليدي الأخر للأمويين في الأندلس.

ويستمر ابن حزم في رده على ما جاء في قصيدة نقفور وفي تفنيده لحججه، فيجرد نقفور من كل ما اتخذه مدعاة للفخر خاصة عندما بدأ قصيدته بنعت نفسه بأنه "الملك الطهر المسيحي"(٣٦) فيرد ابن حزم بأنه لو كان نقفور ملكاً طهوراً ومسيحياً حقيقياً لجعله الله "أحكم حاكم"، ولابتعد خجلاً عن مخاصمة أحد، ولكن الحقيقة، في رأي ابن حزم، غير ذلك، وعليه لا يحق للروم التفاخر بذلك الحاكم ولا بما احتلوه من أرض المسلمين. وقد جاء في قصيدة نقفور تعداد(٣٧) لكل الثغور التي احتلها بدءاً بالثغور الأرمنية ومروراً بالجزيرة وقنسرين والحدث الحمراء وغيرها من المدن والمواقع، حتى يصل حلب التي يفتخر باستباحة حريمها وهدم سورها ثم فرار سيف الدولة منها. ويمضي نقفور يذكر بزهو وافتخار كثرة القتلى الذين أوقعهم بين المسلمين والنساء السبايا اللاتي وقعن في أسره. ويذكر أنه قد تمكن من فعل كل ذلك بسبب وهن المسلمين وغفلتهم. وفي هذا يتفق معه ابن حزم الذي يرى أن انتصارات الروم وهزائم المسلمين التي تفاخر بها نقفور لم

تكن إلا بسبب ضعف المسلمين -كما سبق ذكره- وأن ذلك قد حدث غفلة ولن يكون سوى أمر مؤقت سببته الفرقة بين المسلمين حيث تسيّر الخلفاء فئات متناحرة كالترك والديلم وهي فئات جاهلة ظالمة تشتت جهد المسلمين وتضعف شوكتهم، ومن هنا تمكن نقفور والبيزنطيون من الوثوب على أطراف الدولة الإسلامية ودخولها كما يدخل اللصوص البيت أثناء نوم صاحبه:

وما ذاك إلا في تضاعيف غفلة	عرتنا وصرف الدهر جم الملاحم
ولما تنازعنا الأمور تخاذلاً	ودانت لأهل الجهل دولة ظالم
وقد شغلت فينا الخلائف فتنة	لعبدانهم من تركهم والدلائم
وثبتم على أطرافنا عند ذاكم	وثوب لصوص عند غفلة نائم(٣٨)

ويتفق ابن حزم مع العديد من المؤلفين العرب في رده سبب انتصار نقفور إلى تقصير المسلمين في ذلك الزمان وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة الرفض والتشيع واختلاف أهل السنة فيما بينهم.(٣٩) ولكي يبين ابن حزم لنقفور أن انتصاره الذي يتبجح به ليس سوى جولة كسب فيها القليل مقارنة بما كان العرب المسلمون قد كسبوه من الروم، فإنه يعدد البلدان والأماكن التي انتزعها المسلمون من الروم بدءاً ببلاد الشام كلها مروراً بمصر والقيروان والأندلس حتى يصل صقلية. ولكي يزيد في غيظ نقفور يذكر ابن حزم أن مقدسات الروم ما تزال في أيدي المسلمين، مثل القيامة في بيت لحم، وكذلك كرسيهم في القدس والإسكندرية، إضافة إلى كرسي إنطاكية، وأنه لم يعد بأيدي الروم سوى كرسي رومة وكرسي القسطنطينية، وأن هذين الكرسيين سيؤولان إلى أيدي المسلمين ذات يوم. ويعطي أدلة من التاريخ تعزز تفاؤله هذا؛ فيذكر أن يزيد بن معاوية قد حل عند باب القسطنطينية، وكذلك داسها مسلمة بن عبد الملك بعد ذلك بجيشه القوي حيث بنى هناك مسجداً إلى جنب قصر المُلْك وأجبر ملك الروم فيما بعد على دفع جزية المغلوب. وفوق هذا يؤكد ابن حزم في رده على أن بقاء البيزنطيين في أرض المسلمين لن يكون طويلاً، إذ سيعود إلى الخلافة نورها القديم وتعود دولة الإسلام إلى سابق عهدها مما سيجعل فرار البيزنطيين أمراً حتمياً:

رويداً يعُد نحو الخلافة نورها   ويسفر مغبر الوجوه السواهم
وحينئذ تدرون كيف فراركم   إذا صدمتكم خيل جيش مصادم[٤٠]

أما فيما يتعلق بتفاخر نقفور بالسبايا، فيرى ابن حزم أنها سبايا قليلة العدد إذا ما قيست بعدد السبايا الروميات، خاصة بنات ملوك الروم، اللاتي سباهن العرب المسلمون، وهن سبايا كثيرة يعجز المرء عن عدهن.

وعندما يتباهى نقفور بهزيمته لسيف الدولة ومن خلفه من بعده:

وقد فر عنها سيف دولة دينكم   وناصركم، منا على رغم راغم[٤١]

وبالانتصار الذي سوف يحرزه على كافور الإخشيدي في مصر:

وأُجزي كافوراً بما يستحقه   بمشط ومقراضٍ ومص المحاجم[٤٢]

يرد ابن حزم بأن سيف الدولة وكافوراً ما هما إلا - كما يقول - دعي وحجّام من أراذل الناس[٤٣]، ومن هنا كان من الطبيعي أن تنتصر عليهما. ولا يستطيع المرء إلا أن يتساءل عن سبب موقف ابن حزم السلبي من سيف الدولة وكافور الأخشيدي وتصويره لهما بهذه الصورة البشعة رغم ما سجل التاريخ من بطولات لهما – وخاصة للأول – في مقارعة البيزنطيين والدفاع عن ثغور المسلمين. أما بالنسبة لسيف الدولة فلعل المذهبية كانت سبباً وراء موقف ابن حزم السلبي منه، حيث كانت لدى سيف الدولة ميول شيعية وكان ابن حزم من ألد أعداء الشيعة ولعل الموقف الطبقي وراء الموقف السلبي لابن حزم من كافور حيث كان كافور، قبل أن يصبح حاكماً على مصر، عبداً يمتهن الحجامة كما وصفه ابن حزم.

وبطبيعة الحال لم يكتف نقفور في قصيدته بفخره بما أحرزه من انتصارات على المسلمين وبما أخذه من ديارهم، بل تبين القصيدة أنه مزمع على أخذ كل ديار المسلمين (الأبيات ٣١-٦٣) بدءاً بأنطاكية ودمشق، ومروراً بمصر وسامرا وبغداد والأهواز وشيراز والري إلى الشاش وبلخ. ولم ينس أن يذكر فوق هذا مكة ونجداً واليمن، وبعد ذلك سيعود إلى القدس ليعلي سريره فيها ويكون بذلك قد قضى على المسلمين لتخلو الأرض منهم وتصبح ملكاً للمسيحيين وحدهم:

ومسكن آبائي دمشق فإنني   سأرجع فيها ملكنا تحت خاتمي
ومصر سأفتحها بسيفي عنوة   وأحرز أموالاً بها في غنائمي
ألا شمروا يا أهل بغداد ويلك   فكلكم مستضعف غير رائم
سألقي جيوشاً نحو بغداد سائراً   إلى باب طاقٍ حيث دار القماقم
ومنها إلى شيراز والري فاعلموا   خراسان قصدي بالجيوش الصوارم
إلى شاش بلخ بعدها وخواتها   وفرغانة مع مروها والمخازم
إلى واسط وسط العراق وكوفة   كما كان يوماً ضدنا ذو العزائم
وأخرج منها نحو مكة مسرعاً   أجرّ جيوشاً كالليالي السواجم
وأغزو يماناً كلها وزبيدها   وصنعاءها مع صعدة والتهائم
أعود إلى القدس التي شرفت بنا   بعز مكين ثابت الأصل قائم
وأعلو سريري للسجود معظماً   وتبقى ملوك الأرض مثل الخوادم
هنالك تخلو الأرض من كل مسلم   لكل نقي الدين أغلف زاعم[٤٤]

ولكن ابن حزم لا يرى فيما قاله نقفور أكثر من أحلام وأمنيات لن يقوى على تحقيقها يوماً ما؛ فبغداد -كما يرى ابن حزم- مدينة الزهد والتقوى والعلم تدافع عنها سيوف بني هاشم، ودمشق يحميها جيش لجب يذيق الكفار مذلة الهزيمة، ودون الحجاز جحافل من عدنان وقحطان سيذيقون الروم العذاب والهزائم وسيستبيحون أموالهم ودماءهم وأرضهم كما كان الأمر في العهود السابقة أيام قوة دولة المسلمين. ويستمر ابن حزم في ذكر ديار المسلمين التي هدد نقفور باحتلالها، مؤكداً في كل مرة على أن ثمة من يدافع عن تلك البلاد ويحمي حماها ويذيق الروم الهزيمة. أما مكة التي تحوي بيت الله والتي تعلو بأمجادها علو الثريا، فإن الرحمن هو من يدافع عنها، كما حصل عندما غزاها الأحباش عام الفيل. ولا يشك ابن حزم في أن النصر سيكون للمسلمين وأن فناء البيزنطيين والقرامطة سيكون على يدي دولة بني عباس التي نصر خلفاؤها الحق والدين وحققوا فتوحات كثيرة للإسلام، وسيكون هذا شأنهم في قادم الأيام[٤٥].

أمران جوهريان يستوقفان المرء هنا. الأول، كيف لابن حزم، أو لأي أحد آخر، أن يفند أقوال نقفور ويرد على تهديداته ووعوده بعد سبعين عاماً من إصدارها وقد أثبتت الأيام أنها لم تكن غير تهديدات لم ينفذها نقفور أو من أتوا بعده، أي أنه عندما قال ابن حزم قصيدته هذه (٤١٨-٤٢٢) لم تكن قد تحققت أي من تهديدات نقفور، ناهيك عن أن نقفور نفسه كان قد عزل وقتل عام ٣٥١هـ/٩٦٩م بعد عدة سنين فقط من إرساله لقصيدته للخليفة المطيع.

أما الأمر الثاني -وهو يثير الاستغراب- فهو كيف لابن حزم، وهو المتعصب للأمويين، الخصوم التقليديين للعباسيين، أن يذكر بني العباس مفتخراً بهم وبنسبهم وبأعمالهم العظيمة وبماضيهم المشرف. ولو أنه اكتفى بتصويرهم على أنهم أمل المسلمين بعد انهيار دولة الأمويين في الأندلس لوجدنا له عذراً في ذلك،لكنه يفتخر بعظمة ماضيهم وبما سيفعلونه في قادم الأيام:

ملوك جرى بالنصر طائر سعدهم فأهلاً بماضٍ منهم وبقادم

أو ليس يستغرب من شاعر ارتبط اسمه واسم أبيه بخدمة الأمويين، ولم يغير ولاءه لهم يوماً حتى آخر أيامهم، أن يفتخر بماضي العباسيين الذين قضوا على دولة الأمويين في المشرق وظلوا زمناً طويلاً من ألد خصوم الدولة الأموية في الأندلس ؟أيمكن أن يكون السبب عائداً إلى تلاشي العداء بين العباسيين والأمويين في الأندلس أيام ابن حزم، خاصة بعد ظهور الفاطميين العدو المشترك للطرفين؟ حيث بدا والحالة هذه أن العداء القديم بين الأمويين في الأندلس والعباسيين في العراق غير ذي موضوع مقارنة بالخلاف مع المنافسين الجدد.

وفي مقابل وعود نقفور وتهديداته يقطع ابن حزم الوعود بأن المسلمين سيفتحون القسطنطينية والصين وبلاد الترك والخزر حتى يصلوا أقاصي أرض الروم ويجبروهم على دفع الجزية صاغرين، وتخضع جميع البلاد إلى حكم الإسلام، وكأنه بذلك يقول لنقفور بأن لا يحلم يوماً أن يعلو سريره في القدس وأن لا أمل له بإقامة دولته المسيحية التي وعد بإقامتها بعد الخلاص من المسلمين.

ويختم نقفور قصيدته مبيناً أن انتصاره على المسلمين عائد إلى جور ولاتهم وفعلهم

لكل منكر، وإلى فساد قضاتهم وعدم حكمهم بالعدل وانتشار مظاهر الفساد بينهم الأمر الذي سيمكنه من نشر الدين المسيحي بقوة السيف. ويظهر تعصبه الشديد للمسيحية وكرهه الشديد للإسلام والمسلمين عندما يقارن بين عيسى ومحمد عليهما السلام. فعيسى – كما يزعم – ما يزال يقيم عرشه فوق السماوات وسيكون الفوز في نهاية الأمر لمن آمن به واتبعه، أما محمد – كما يزعم – فقد أصبح بعد موته رفاة تحت الثرى كغيره من البشر الأموات، بل – فوق هذا – لم يتردد بعض المسلمين من تولي أصحابه بالسب والشتم.

ويختم ابن حزم قصيدته بخاتمة طويلة تبلغ سبعة وثلاثين بيتاً، يسخر فيها من نقفور ومن عقيدة النصارى التي تؤمن بدين يقوم على التثليث، حيث يدين الناس لمخلوق هو أصلاً يدين لله. ويسخر كذلك من اعتقادهم بصلب المسيح على أيدي اليهود "الأرذال اللئام".. والدين الصحيح عند ابن حزم هو الإسلام حيث أتى محمد بالرسالة الصادقة، ولذلك أقبل الملوك مذعنين من كل أطراف الأرض لدخول الإسلام تدفعهم الرغبة في ذلك وليس الخوف:

وأذعنت الأملاك طوعاً لدينه ببرهان صدق ظاهر في المراسم

أجابوا لدين الله لا من مخافة رغبة تحظى بها كف عادم

فحلوا عرى التيجان طوعاً ورغبة لحق يقين بالبراهين ناجم[٤٦]

أما نبي الإسلام محمد فيرى ابن حزم أن النصر قد أتاه من عند ربه لأنه وحيد فقير لم تدفع عنه عشيرته ظلم المعتدين، وقد آمن به الناس من جميع الملل والأعراق فأصبحوا متساوين في الإيمان بالله والخضوع لأحكامه. وفوق هذا فقد يسر الله للرسول محمد آياتٍ تؤيد صدق رسالته كما يقول ابن حزم:

وشق له بدر السماوات آية وأشبع من صاع له كل طاعم

وسالت عيون الماء في وسط كفه فأروى به جيشاً كثير القماقم[٤٧]

من الواضح أن ابن حزم يشير هنا في البيت الأول إلى معجزة الرسول الكريم محمد عندما أطعم جميع الذين يعملون على حفر الخندق، من حفنة تمر وضعها على ثوب، حتى

شبع الجميع وظل التمر يتساقط من أطراف الثوب[٤٨]. ويشير البيت الثاني هنا إلى معجزة الرسول الكريم عندما توضأ الناس يوم الحديبية وشربوا حتى ارتووا من ركوة صغيرة كان الرسول قد وضع يده فيها فجعل الماء يثور من بين أصابعه كأمثال العيون[٤٩] وإلى جانب هذا، يبين ابن حزم أن نبي الإسلام قد جاء بدين يصدقه العقل ويقوم على براهين واضحة كالشمس لا مجرد دعاوى لا تقوم على أساس، وخلط ما بين الجوهر والعرض والأقانيم الثلاثة فيما يتعلق بطبيعة الله، وهذه طبعاً إشارة من ابن حزم إلى الديانة المسيحية.

إن تفنيد ابن حزم لقصيدة نقفور من النواحي الدينية، خاصة فيما يتعلق بموضوع تزييف الأناجيل، وبفكرة التثليث في المسيحية، وبالخلط بين العرض والجوهر أو الخلط بين الأقانيم الثلاثة يتفق مع ما جاء في كتاباته الأخرى عن النصرانية، خاصة في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، حيث يرى ابن حزم أن ليس ثمة عقل يتسع لمثل كفرالنصارى[٥٠]، خاصة فيما يتعلق بفكرة التثليث؛ إذ كيف يمكن أن يصبح الثلاثة شيئاً واحداً، وعلى أي أساس يمكن أن نسمي أحدهم أباً والآخر ابناً، حيث يرد في الإنجيل سأقعد عن يمين أبي وأن القيامة لا يعلمها إلا الأب وحده، فهذا يعني أن يكون الأب غير الابن. وإذا تغاير الثلاثة فيلزم - عند ابن حزم - أن يكون في الابن معنى من الضعف والحدوث يحط بدرجته عن درجة الأب. والنقص ليس من صفة من لم يزل[٥١].

وأما عن قول النصارى باتحاد الإله مع الإنسان كاتحاد الماء يلقى في الخمر أو الزيت، فيرد ابن حزم متسائلاً عن أيهما استحال في الآخر، الإله أم الإنسان؟ وأيهما أصبح عرضاً وأيهما ظل جوهراً؟ وإذا كان الإله استحال إنساناً فالمسيح، إذن، إنسان، وإذا كان الإنسان استحال إلهاً فالمسيح إله[٥٢]. أما الأناجيل فيرى ابن حزم أن النصارى لا يعدونها منزلة من عند الله على المسيح، بل يرون أن المسيح قد أتى بها، ولا يختلفون على أنها أربعة تواريخ ألفها رجال معروفون في أزمان مختلفة؛ أولها تاريخ ألفه "متى اللاواني"، بالعبرانية بعد تسع سنين من رفع المسيح، والآخر تاريخ ألفه "مارقش الهاروني" بعداثنين وعشرين عاماً من رفع المسيح، وكتبه باليونانية في إنطاكية، والثالث تاريخ ألفه "لوقا الطبيب"، الذي كتبه باليونانية بعد تأليف مرقص المذكور، في حجم إنجيل متى. والرابع تاريخ ألفه باليونانية "يوحنا بن سيذاي" بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة. وقد جاء

المتأخرون من الأساقفة و البطاركة بعد ذلك بكتب كثيرة[٥٣]. ولذلك تبدو هذه الكتب متفاوتة في أساليبها وفي مضامينها بل حتى في العقيدة ذاتها، وعليه -يرى ابن حزم- فلا وجه لمقارنتها مع ما نزل من عند الله باللفظ والمعنى كما هو الحال في القرآن الكريم، كتاب المسلمين، الذي لا يأتيه الباطل أبداً.

وهكذا نلاحظ أن ابن حزم قد توسع في حديثه، عند دفاعه عن الإسلام وتمجيد عقيدته وشرعه، وتفنيد المسيحية وتزييف عقائدها. في حين لا نلاحظ في قصيدة نقفور ذكراً للإسلام من حيث هو دين، أو تفنيداً وتكذيباً لعقيدته، بل رأينا ذكراً لفساد الحكام والولاة والقضاة وتفشي مظاهر الفساد بين المسلمين، وهو أمر لا يستطيع المرء إلا الاعتراف بوجود قدر منه في المجتمع الإسلامي آنذاك، وهو ما أشار إليه واعترف بوجوده المؤرخون لتلك الحقبة (أنظر الهامش رقم ٤٠). ولم يتعرض نقفور لنبي الإسلام إلا في بيت واحد، حيث يزعم أن عيسى عليه السلام، قد علا فوق السماوات - وهو أمر لا ينكره المسلمون - بينما بقي محمد - ﷺ - رفاتاً في التراب. وعليه، هل كان توسع ابن حزم في هذا المقام انعكاساً لظروفه التاريخية؛ حيث كانت أراضي المسلمين في الأندلس تتعرض إلى غزوات مستمرة من الشمال، وكان العديد من المناطق تقع الواحدة بعد الأخرى، في أيدي الإسبان، مما أجج نار العداء الديني بين الطرفين؟ وهل كان هذا التوسع - أيضاً - انعكاساً لشخصية ابن حزم ذات المزاج الحاد، كما وصفه ابن حيان[٥٤]، أم يرجع ذلك لشدة ورعه الديني؟ وبعد، فهذه الطريقة في مقارعة الخصم، والإطناب في الرد عليه ليكون رداً مفحماً، تشبه ما كان يفعله ابن حزم في الرد على خصومه كما نلاحظ في رسائله المختلفة. وهذا يعيدنا إلى موضوع الموثوقية في نسبة القصيدة إلى ابن حزم التي أثرناها سابقاً، ولذا نؤكد في نهاية هذا البحث على أن النقاط التي أثرناها حول مدى الموثوقية في نسبة القصيدة إلى ابن حزم لم تجعلنا نطمئن إلى القطع بنفي نسبة القصيدة إليه، وذلك لأن في القصيدة - كما بينا - ما يشبه طريقة ابن حزم وأفكاره في الرد على أصحاب الديانات الأخرى من اليهود والنصارى، إضافة إلى أننا - رغم البحث الجاد الواسع - لم نجد شاعراً غير ابن حزم يمكن أن نطمئن إلى نسبة القصيدة إليه، ولعل المستقبل يكشف لي، أو لغيري، ما يساعد على الاطمئنان بل الوثوق في مسألة نسبة القصيدة إلى ابن حزم أو إلى غيره.

خاتمة :

لقد رأينا في هاتين القصيدتين نوعاً خاصا، وربما فريدا، من أنواع الصراع بين المسلمين والبيزنطيين، حيث اتخذت المراسلات الدبلوماسية شكل القصائد وليكون الشعر أحد الأسلحة الفعالة في ذلك الصراع. ولعل من أهم ما تجب الإشارة إليه في هذه الخاتمة أنه يمكن النظر إلى قصيدة نقفور على أنها إعلان مبكر للحروب الصليبية حيث لا يخفى الدافع الديني وراء تلك القصيدة ؛ فهي تصرح بنوايا نقفور باحتلال معظم أراضي المسلمين، وعلى الخصوص مكة قبلة المسلمين.

ويمكن القول إن قدوم السلاجقة، الذين حطموا ظهر البيزنطيين، قد قضى على أحلام نقفور فوقاس وخلفائه في تحقيق مرادهم، وبذلك تأجلت الحروب الصليبية حوالي قرن وثلث قرن، وليكون مصدرها هذه المرة أوروبا الغربية بمباركة من البابا في روما، وهكذا يعود الشعر مجدداً ليؤدي دوره في هذا الصراع الجديد.

قصيدة نقفور

من الملك الطهر المسيحي مألك ... إلى خلف الإخلاف من آل هاشم
إلى الملك الفضل المطيع أخي العلا ... ومن يرتجى للمعضلات العظائم
أما سمعت أذناك ما أنا صانع ... ولكن دهاك الوهن عن فعل حازم
فإن تك عما تقلدت نائماً ... فإني عما همني غير نائم
ثغوركم لم يبق فيها لوهنها ... وضعفكم، إلا رسوم المعالم
فتحنا الثغور الأرمنية كلها ... بفتيان صدق كالليوث الضراغم
ونحن جلبنا الخيل تعلك لجمها ... وتبلغ منها قضمها للشكائم
إلى كل ثغر بالجزيرة آهل ... إلى جند قنسرينكم فالعواصم
وملطية مع سميساط من بعد كركر ... وفي البحر أضعاف الفتوح القواصم
وبالحدث الحمراء جالت عساكري ... وكيسوم بعد الجعفري للمعالم
ومرعش أذللنا أعزة أهلها ... فصاروا لنا من بين عبد وخادم
وسل بسروج إذ خرجنا بجمعنا ... لنا رتبة تعلو على كل قائم
وأهل الرها لاذوا بنا وتحزموا ... بمنديل مولى علا عن وصف آدمي
وصبح رأس العين منا بطارق ... ببيض، غزوناها بضرب الجماجم
ودارا، وميافارقين وأرزنا ... أذقناهم بالخيل طعم العلاقم
وأقريطش قد جازت إليها مراكبي ... على ظهر بحر مزبد متلاطم
فحزتهم أسرى، وسيقت نساؤهم ... ذوات الشعور المسبلات الفواحم
هناك فتحنا عين زربة عنوة ... بهم، وأبدنا كل طاغ وظالم

نعم، وفتحنا كل حصن ممنع	فسكانه نهب النسور القشاعم
إلى حلب، حتى استبحنا حريمها	وهدم منها سورها كل هادم
أخذنا النسا، ثم البنات نسوقهم	وصبيانهم مثل المماليك خادم
وقد فر عنها سيف دولة دينكم	وناصركم، منا على رغم راغم
وملنا على طرطوس ميلة حازم	أذقناهم فيها بحز الحلاقم
فكم ذات خدر حرة علوية	منعمة الأطراف، ريا المعاصم
سبينا فسقنا خاضعات حواسرا	بغير مهور، لا، ولا حكم حاكم
وكم من قتيل قد تركنا مجندلا	يصب دما بين اللها واللهازم
وكم وقعة في الدرب أفنت كماتكم	وسقناهم قسرا كسوق البهائم
وملنا إلى أرتاحكم وحريمها	مدوخة تحت العجاج السواهم
فأهوت أعاليها، وبدل رسمها	من الأنس وحشاً بعد بيض نواعم
إذا صاح فيها البوم جاوبه الصدى	واتبعه في الربع نوح الحمائم
وأنطاك لم تبعد علي وإنني	سأفتحها يوما بهتك المحارم
ومسكن آبائي دمشق فإنني	سأرجع فيها ملكنا تحت خاتمي
ومصر سأفتحها بسيفي عنوة	وأحرز أموالاً بها في غنائمي
وأجزي كافوراً بما يستحقه	بمشط ومقراض ومص المحاجم
ألا شمروا يا أهل حمدان شمروا	أتتكم جيوش الروم مثل الغمائم
فإن تهربوا تنجو كراما وتسلموا	من الملك الصادي بقتل المسالم
كذاك نصيبين وموصلها إلى	جزيرة آبائي وملك الأقادم

سأفتح سامرا، وكوثى، وعكبرا	وتكريتها مع ماردين العواصم
وأقتل أهليها الرجال بأسرها	وأغنم أموالاً بها وحرائم
ألا شمروا يا أهل بغداد ويلكم	فكلكم مستضعف غير رائم
رضيتم بحكم الديلمي ورفضه	فصرتم عبيداً للعبيد الديالم
ويا قاطني الرملات، ويلكم أرجعوا	إلى أرض صنعاكم وأرض التهائم
وعودوا إلى أرض الحجاز أذلة	وخلوا بلاد الروم أهل المكارم
سألقي جيوشاً نحو بغداد سائرا	إلى باب طاق حيث دار القماقم
وأحرق أعلاها وأهدم سورها	وأسبي ذراريها على رغم راغم
وأحرز أموالاً بها وأسرة	وأقتل من فيها بسيف النقائم
وأسري بجيشي نحو الأهواز مسرعا	لإحراز ديباج وخز السواسم
وأشعلها نهباً، وأهدم قصورها	وأسبي ذراريها كفعل الأقادم
ومنها إلى شيراز والري فاعلموا	خراسان قصدي بالجيوش الصوارم
إلى شاش، بلخ بعدها وخواتها	وفرغانة مع مروها والمخازم
وسابور أهدمها وأهدم حصونها	وأوردها يوما كيوم السمائم
وكرمان، لا أنسى سجستان كلها	وكابلها النائي وملك الأعاجم
أسير بجندي نحو بصرتها التي	لها بحر عجاج رائع متلازم
إلى واسط وسط العراق، وكوفة	كما كان يوماً جندنا ذو العزائم
وأخرج منها نحو مكة مسرعاً	أجر جيوشاً كالليالي السواجم
فأملكها دهراً عزيزاً مسلماً	أقيم بها للحق كرسي عالم

وأحوي نجداً كلها وتهامها   وسرّاً، وأتهام مذحج وقحاطم
وأغزو يماناً كلها وزبيدها   وصنعاءها مع صعدة والتهائم
فأتركها أيضاً خراباً بلاقعاً   خلاء من الأهلين أهل النعائم
وأحوي أموال اليمانين كلها   وما جمع القرماط يوم محارم
أعود إلى القدس التي شرفت بنا   بعز مكين ثابت الأصل قائم
وأعلو سريري للسجود معظما   وتبقى ملوك الأرض مثل الخوادم
هنالك تخلو الأرض من كل مسلم   لكل نقي الدين -أغلف زاعم
نصرنا عليكم حين جارت ولاتكم   وأعلنتموا بالمنكرات العظائم
قضاتكم باعوا القضاء بدينهم   كبيع ابن يعقوب ببخس الدراهم
عدو لكم بالزور يشهد ظاهراً   وبالإفك والبرطيل مع كل قائم
سأفتح أرض الله شرقاً ومغرباً   وأنشر ديناً للصليب بصارمي
فعيسى علا فوق السموات عرشه   يفوز الذي والاه يوم التخاصم
وصاحبكم بالتراب أودى به الثرى   فصار رفاتاً بين تلك الرمائم
تناولتم أصحابه بعد موته   بسب وقذف وانتهاك المحارم

قصيدة ابن حزم

من المحتمي بالله رب العوالم   ودين رسول الله من آل هاشم
محمد الهادي إلى الله بالتقى   وبالرشد، والإسلام أفضل قائم
عليه من الله السلام مردداً   إلى أن يوافي الحشر كل العوالم
إلى قائل بالإفك جهلاً وضلة   عن النقفور المفتري في الأعاجم
دعوت إماماً ليس من أمر آله   بكفيه إلا كالرسوم الطواسم
دهته الدواهي في خلافته كما   دهت قبله الأملاك دهم الدواهم
ولا عجب من نكبة أو ملمة   تصيب الكريم الحر وابن الأكارم
ولو أنه في حال ماضي جدوده   لجرعتم منه سموم الأراقم
عسى عطفة لله في أهل دينه   تجدد منه دارسات المعالم
فخرتم بما لو كان فيكم حقيقة   لكان بفضل الله أحكم حاكم
إذن لاعترتكم خجلة عند ذكره   وأخرس منكم كل فاه مخاصم
سلبناكم كرا ففزتم بغرة   من الدهر، أفعال الضعاف العزائم
فطرتم سروراً عند ذاك ونشوة   كفعل المهين الناقص المتعالم
وما ذاك إلا في تضاعيف غفلة   عرتنا، وصرف الدهر جم الملاحم
وقد شغلت فينا الخلائف فتنة   لعبدانهم من تركهم والدلائم
بكفر أياديهم وجحد حقوقهم   لمن رفعوه من حضيض البهائم
وثبتم على أطرافنا عند ذاكم   وثوب لصوص عند غفلة نائم
ألم ننتزع منكم بأعظم قوة   جميع بلاد الشام ضربة لازم

ومصراً وأرض القيروان بأسرها   وأندلسا قسراً بضرب الجماجم

ألم ننتزع منكم على ضعف حالنا   صقلية في بحرها المتلاطم

أما بيت لحم والقمامة بعدها   بأيدي رجال المسلمين الأعاظم

وسركيسكم في أرض إسكندرية   وكرسيكم في القدس في أورشالم

ضممناكم قسراً برغم أنوفكم   [كما ضمت الساقين سود الأداهم

وكرسي أنطاكية كان برهة   ودهراً بأيدينا وبذل الملاغم

فليس سوى كرسي رومة فيكم   وكرسي قسطنطينية في المقادم

ولا بد من عود الجميع بأسره   إلينا بعز قاهر متعاظم

أليس يزيد حل وسط دياركم   على باب قسطنطينية بالصوارم

ومسلمة قد داسها بعد ذاكم   بجيش لهام قد دوى بالضراغم

وأخدمكم بالذل مسجدنا الذي   بني فيكم في عصره المتقادم

إلى جنب قصر الملك من دار ملككم   ألا هذه حقاً صريمة صارم

وأدى لهارون الرشيد مليككم   رفادة مغلوب وجزية غارم

سلبناكم مسرى شهوراً بقوة   حبانا بها الرحمن أرحم راحم

إلى بيت يعقوب وأرياف دومة   إلى لجة البحر المحيط المخارم

فهل سرتم في أرضنا قط جمعة   أبى الله ذاكم يا بقايا الهزائم

فما لكم إلا الأماني وحدها   بضائع نوكى تلك أحلام نائم

رويداً يعد نحو الخلافة نورها   ويسفر مغبر الوجوه السواهم

وحينئذ تدرون كيف فراركم   إذا صدمتكم خيل جيش مصادم

على سالف العادات منا ومنكم   ليالي أنتم في عداد الغنائم

سبيتم سبايا ليس يكثر عدها   وسبيكم فينا كقطر الغمائم

فلو رام خلق عدها رام معجزاً   وأنى بتعداد لريش الحمائم

بأبناء حمدان وكافور صلتم   أراذل أنجاس قصار المعاصم

دعي وحجام سطوتم عليهما   وما قدر مصاص دماء المحاجم

فهل على دميانة قبل ذاك أو   على محل أربا رماة الضراغم

ليالي قدناكم كما اقتاد جازر   جماعة أتياس لحز الحلاقم

وسقنا على رسل بنات ملوككم   سبايا، كما سيقت ظباء الصرائم

ولكن سلوا عنا هرقلا ومن خلا   لكم من ملوك مكرمين قماقم

يخبركم عنا المتوج منكم   وقيصركم عن سبينا كل آيم

وعما فتحنا من منيع بلادكم   وعما أقمنا فيكم من مآتم

ودع كل نذل مفتر لا تعده   إماماً، ولا الدعوى له بالتقادم

فهيهات سامرا وتكريت منكم   إلى جبل، تلكم أماني هائم

منى يتمناها الضعيف ودونها   تطاير هامات وحز الغلاصم

ومن دون بغداد سيوف حديدة   ميسرة للحرب من آل هاشم

محلة أهل الزهد والعلم والتقى   ومنزلة يختارها كل عالم

دعوا الرملة الصهباء عنكم فدونها   من المسلمين الغر كل مقاوم

ودون دمشق جمع جيش كأنه   سحائب طير تنتحي بالقوادم

وضرب يلقي الكفر كل مذلة   كما ضرب السكي بيض الدراهم

ومن دون أكناف الحجاز جحافل … كقطر الغيوث الهاملات السواجم
بها من بني عدنان كل سميدع … ومن حي قحطان كرام العمائم
ولو قد لقيتم من قضاعة كبة … لقيتم ضراماً في يبيس الهشائم
إذا صبحوكم ذكروكم بما خلا … لهم معكم من مأزق متلاحم
زمان يقودون الصوافن نحوكم … فجئتم ضماناً أنكم في المغانم
سيأتيكم منهم قريباً عصائب … تنسيكم تذكار أخذ العواصم
وأموالكم حل لهم ودماؤكم … بها يشتفي حر الصدود الحوائم
وأرضيكم حقاً سيقتسمونها … كما فعلوا دهراً بعدل المقاسم
ولو طرقتكم من خراسان عصبة … وشيراز والري القلاع القوائم
لما كان منكم عند ذلك غير ما … عهدنا لكم: ذل وعض الأباهم
فقد طالما زاروكم في دياركم … مسيرة عام بالخيول الصوادم
فأما سجستان وكرمان والألى … بكابل حلوا في بلاد البراهم
فمغزاهم في الهند لا يعرفونكم … بغير أحاديث لذكر التهازم
وفي فارس والسوس جمع عرمرم … وفي إصبهان كل أروع عازم
فلو قد أتاكم جمعهم لغدوتم … فرائس، كالآساد فوق البهائم
وبالبصرة الغراء، والكوفة التي … سمت، وبأدنى واسط والكظائم
جموع تسامي الرمل عدا وكثرة … فما أحد ينوي لقاهم بسالم
ومن دون بيت الله في مكة التي … حباها بمجد للثريا مزاحم
محل جميع الأرض منها تيقناً … محلة سفل الخف من فص خاتم

دفاع من الرحمن عنها يحفها … فما هو عنها رد طرف برائم
بها واقع الأحبوش هلكي وفيلهم … بحصباء طير من ذرى الجو حائم
وجمع كجمع البحر ماض عرمرم … حمى بنية البطحاء ذات المحارم
ومن دون قبر المصطفى وسط طيبة … جموع كمسود من الليل فاحم
يقودهم جيش الملائكة العلى … دفاعاً ودفعاً عن مصل وصائم
فلو قد لقيناكم لعدتم رمائماً … كما فرق الأعصار عظم البهائم
وباليمن الممنوع فتيان غارة … إذا ما لقوكم كنتم كالمطاعم
وفي جانبي أرض اليمامة عصبة … مغاور أمجاد طوال البراجم
ستفنيكم والقرامطين دولة … تقووا بميمون النقيبة حازم
خليفة حق ينصر الدين حكمه … ولا يتقي في الله لومة لائم
إلى ولد العباس تنمى جدوده … بفخر عميم مزبد الموج فاعم
ملوك جرى بالنصر طائر سعدهم … فأهلاً بماض منهم وبقادم
محلهم في مسجد القدس أو لدى … منازل بغداد محل الأكارم
وإن كان من علياً عدي وتيمها … ومن أسد أهل الصلاح الخضارم
فأهلاً وسهلاً ثم نُعمى ومرحباً … بهم من خيار سالفين أقادم
هم نصروا الإسلام نصراً مؤزراً … وهم فتحوا البلدان فتح المراغم
رويداً فوعد الله بالصدق وارد … بتجريع أهل الكفر طعم العلاقم
سنفتح قسطنطينية وذواتها … ونجعلكم قوت النسور القشاعم
ونفتح أرض الصين والهند عنوة … بجيش لأرض الترك والخزر حاطم

ونملك أقصى أرضكم وبلادكم   ونلزمكم ذل الجزى والمغارم
مواعيد للرحمن فينا صحيحة   وليست كآمال العقول السواقم
إلى أن ترى الإسلام قد عم حكمه   جميع الأراضي، بالجيوش الصوارم
أتقرن يا مخذول ديناً مثلثاً   بعيداً عن المعقول بادي المآثم
تدين لمخلوق يدين لغيره   فيالك سحقاً، ليس يخفى لعالم
أناجيلكم مصنوعة قد تشابهت   كلام الألى فيما أتوا بالعظائم
وعود صليب ما تزالون سجداً   له، يا عقول الهاملات السوائم
تدينون تضلالا بصلب إلهكم   بأيدي يهودٍ أرذلين ألائم
إلى ملة الإسلام توحيد ربنا   فما دين ذي دين لها بمقاوم
وصدق رسالات الذي جاء بالهدى   محمد الآتي برفع المظالم
وأذعنت الأملاك طوعاً لدينه   ببرهان صدق ظاهر في المواسم
كما دان في صنعاء مالك دولة   وأهل عمان حيث رهط الجهاضم
وسائر أملاك اليمانين أسلموا   ومن بلد البحرين قوم اللهازم
أجابوا لدين الله لا من مخافة   ولا رغبة تحظى بها كف عادم
فحلوا عرى التيجان طوعاً ورغبة   لحق يقين بالبراهين ناجم
وحاباه بالنصر المكين إلهه   وصير من عاداه تحت المناسم
فقير وحيد لم تعنه عشيرة   ولا دفعوا عنه شتيمة شاتم
ولا عنده مال عتيد لناصر   ولا دفع مرهوب ولا لمسالم
ولا وعد الأنصار مالاً يخصهم   بلى كان معصوماً لأقدر عاصم

ولم تمتهنه قط قوة آسر   ولا مكنت من جسمه يد ظالم
كما يفتري إفكاً وزوراً وضلة   على وجه عيسى منكم كل آثم
على أنكم قد قلتمو هو ربكم   فيا لضلال في الحماقة جاثم
أبى الله أن يدعى له ابن وصاحب   سيلقى دعاة الكفر حالة نادم
ولكنه عبد نبي مكرم   من الناس، مخلوق، ولا قول زاعم
أيلطم وجه الرب؟ تباً لجهلكم   لقد فقتم في قولكم كل ظالم
وكم آيةٍ أبدى النبي محمد   وكم علم أبداه للشرك حاطم
فعرب وأحبوش وترك وبربر   وفرس بهم قد فاز قدح المساهم
وقبط وأنباط وخزر وديلم   وروم رموكم دونه بالقواصم
أبوا كفر أسلاف لهم فتحنفوا   فآبوا بحظ في السعادة لازم
به دخلوا في ملة الحق كلهم   ودانوا لأحكام الإله اللوازم
به صح تفسير المنام الذي أتى   به دانيال قبله حتم حاتم
وهند وسند أسلموا وتدينوا   بدين الهدى رفضاً لدين الأعاجم
وشق له بدر السماوات آية   وأشبع من صاع له كل طاعم
وسالت عيون الماء في وسط كفه   فأروى به جيشاً كثير القماقم
وجاء بما تقضى العقول بصدقه   ولا كدعاو غير ذات قوائم
براهينه كالشمس لا مثل قولكم   وتخليطكم في جوهر وأقانم
لنا كل علم من قديم ومحدث   وأنتم حمير داميات المحازم
أتيتم بشعر بارد متخاذل   ضعيف معاني النظم، جم البلاغم
فدونكها كالعقد فيه زمرد   ودر وياقوت بإحكام حاكم

الهوامش

١. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر، البداية والنهاية جـ١١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٢م، ص٢٤٣.

٢. المصدر السابق، ص٢٤٤. وقد سمى ابن كثير القصيدة بالقصيدة الأرمنية لأنه كان يسمى نقفور ملك الأرمن. وفي هذا وهمٌ كبير إذ لم يكن نقفور مجرد ملك للأرمن بل كان إمبراطور بيزنطة. وسنشير إلى القصيدة في هذا البحث بقصيدة نقفور.

٣. لايذكرنقفور في قصيدته البلاد التي تحت حكم الفاطميين، بين البلاد التي ينوي أخذها من المسلمين، ولعل هذا راجع الى المعاهدة التي اضطر نقفور إلى عقدها مع الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بعد هزيمة الأخير له في وقعة "المجاز" الشهيرة في صقلية عام ٩٦٩م. وقد أدت المعاهدة هذه إلى ازدياد التقارب والمحبة بين نقفور والمعز، وبمقتضى هذه المعاهدة استمرت سيادة الفاطميين على صقلية طوال زمن نقفور. كذلك لم يرد في القصيدة أي تهديد بالسيطرة على أي جزء في الأندلس، ولعل هذا راجع إلى العلاقات الحسنة بين الأمويين في الأندلس والبيزنطيين. وتشهد على هذا السفارات المتعددة في عهود مختلفة بين كلا الطرفين؛ ولعل زيارة الوفد البيزنطي لقرطبة في عهد الخليفة الناصر والحفاوة التي استقبل بها الوفد والهدايا التي تبودلت أكبر شاهد على ذلك. أنظر:

– المقري، أحمد بن محمد بن أحمد، نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، جـ١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ص٣٦٤-٣٦٥.

– ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد، الكامل في التاريخ، جـ ٨، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م، ص٤١٣.

– ليفي بروفنسال، الإسلام في الأندلس، ترجمة محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص٩١-١١٨.

– السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية،بيروت، ١٩٨٢م، ص٤٩٦-٤٩٧.

٤. ابن كثير، جـ ١١،ص٢٤٤.

٥. السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية، جـ ٣، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو. مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٢٠٤-٢-٥.

٦. ابن الأثير، الكامل، جـ ٨، ٤٤٧.

٧. الأنطاكي، يحيى بن سعيد، تاريخ الأنطاكي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري،جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠م، ص١٣٦-١٣٧

٨. السبكي، جـ ٣، ص٢١٤

٩. ابن خير، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة، الفهرسة، تحقيق إبراهيم البياري، القاهرة، ص٥٣٧. ولقد بحثنا في المصادر المختلفة ولم نجد شيئا عن هذا الشاعر غير ما ذكره ابن خير.

١٠.ابن كثير، جـ ١١،ص٢٤٧.

١١.الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد، تذكرة الحفاظ، جـ ٣، دار إحياء التراث العربي، القاهرة،١٩٥٨م، ص١٤٦.

١٢.الذهبي. سير أعلام النبلاء، جـ ٢٠، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، دار الرسالة، بيروت،١٩٨٥م، ص١٤٢.

١٣.صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي، طبقات الأمم، تحقيق حياة بو علوان، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٨١-١٨٤.

١٤.الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح، جذوة المقتبس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، دار الثقافة الإسلامية، القاهرة،١٩٥٢م،ص٣٠٩.

١٥.ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة، جـ٢، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٥٦٠.

١٦.ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،قسم١، مجلد١،تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،١٩٧٩م،ص١٦٧-١٧٥.

١٧.المقري، نفح الطيب، جـ ٢، ص٧٧.

١٨.الذهبي. تاريخ الإسلام، أحداث عام ٤٥٦هـ، تحقيق عبد السلام عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٨٩م،ص٤٠٣.

١٩.الذهبي، سير اعلام النبلاء، جـ ١٨، ص١٨٤.

٢٠.ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، جـ٤، تحقيق إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٩٣م،ص١٦٥٠-١٦٥٩.

٢١.ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان، جـ٣، تحقيق إحسان عباس، دار صادر،بيروت، ١٩٧٠م،ص٣٢٥-٣٣٠.

٢٢. احسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت،١٩٧٨م،ص٣٧٤.

٢٣.من حديث شخصي في بيت د. إحسان عباس بتاريخ ١٩٩٧/١١/٢١م، وبحضور عدد من الأساتذة. ولعل المخطوط المشار إليه هو نسخة أخرى من ذلك المخطوط الموجود في الجامعة الليبية والذي توجد منه نسخة أخرى في المكتبة الإفريقية في استنبول.أنظر: عبد الحليم عويس، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة،١٩٨٨م،هامش رقم٣، ص١٠١.

٢٤.عبد الكريم خليفة، ابن حزم الأندلسي حياته وأدبه، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ت. ص٢٥١.

٢٥. نصرة عبد الرحمن، شعر الصراع مع الروم، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٧٧م،ص٢٨٧.

٢٦.صلاح الدين المنجد، (محقق) قصيدة إمبراطور الروم نقفور فوقاس في هجاء الإسلام والمسلمين، وقصيدتا الإمامين القفال الشاشي وابن حزم الأندلسي في الرد عليه، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٢.

٢٧.السابق، ص٣٩.

٢٨.نافع عبد الله، الهجاء في الشعر الأندلسي، منشورات مركز الوثائق، بير زيت، ١٩٨٤م،ص١٠١.

٢٩.المنجد، ص١١.

٣٠. محمد محمد مرسي الشيخ، الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤م، ص٢٩٠-٢٩١.

٣١. المنجد، ص٤١.

٣٢. السابق، ص٤١.

٣٣. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٨٧م، وخاصة رسالته في الرد على ابن النغريلة اليهودي.

٣٤. المنجد، ص٤١.

٣٥. السابق، ص٤١.

٣٦. السابق، ص١١

٣٧. السابق، ص١١-١٦.

٣٨. السابق، ص٤٢-٤٣.

٣٩. أنظر مثلا:- ابن الأثير، جـ٨، ص٤٤٧، وابن كثير، جـ ١١، ص٢٤٣.

٤٠. المنجد، ص٤٥.

٤١. السابق، ص١٥.

٤٢. السابق، ص١٧.

٤٣. السابق، ص٤٦.

٤٤. السابق، ص١٦-٢١.

٤٥. الأبيات ٥٢-٩٣.

٤٦. المنجد، ص٥٤.

٤٧. السابق، ص٥٧.

٤٨. الواقدي، أبو عبد الله بن عمر بن واقد، المغازي، تحقيق مارسون جونس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٦م، ص٤٧٦.

٤٩. البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، تقديم أحمد محمد شاكر، جـ٥، دار الجيل، بيروت، د.ت. ص١٥٦-١٥٧.

٥٠. ابن حزم، الفصل في الملل والأهوء والنحل، جـ١، مؤسسة الخانجي، القاهرة، د.ت. ص٤٩.

٥١. السابق، ص٥٠.

٥٢. السابق، ص٥٥.

٥٣. السابق، جـ٢، ص٢-٣.

٥٤. إحسان عباس، ص٣١٦.

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.

٢- الأندلسي، صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي، طبقات الأمم، تحقيق حياة بو علوان، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٥م.

٣- الأنطاكي، يحيى بن سعيد، تاريخ الأنطاكي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠.

٤- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تقديم أحمد محمد شاكر، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٥- بروفنسال، ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٠م.

٦- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٩م.

٧- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الصلة، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٦م.

٨- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد

- رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، مؤسسة الخانجي، القاهرة، د.ت

٩- الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

١٠- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح، جذوة المقتبس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، دار الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٩٥٢م.

١١- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٠م.

١٢- خليفة، عبد الكريم،ابن حزم الاندلسي،المكتب الاسلامي،بيروت،د.ت.

١٣- ابن خير، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة، الفهرست، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة د.ت.

١٤- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد

- تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، القاهرة ١٩٥٨م.
- سير أعلام النبلاء، جـ٢٠، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، دار الرسالة بيروت ١٩٨٥م.
- تاريخ الإسلام، أحداث عام ٤٥٦هـ، تحقيق عبد السلام عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٩م.

١٥- السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو. مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٥م.

١٦- الشيخ، محمد محمد مرسي،تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،١٩٩٤م.

١٧- عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨م.

١٨- عبد الرحمن، نصرة، شعر الصراع مع الروم، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٧٧م.

١٩- عبد الله، نافع، الهجاء في الشعر الأندلسي، منشورات مركز الوثائق، بير زيت، فلسطين، ١٩٨٤م.

٢٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل، جـ١، مؤسسة الخانجي، القاهرة، د.ت.

٢١- العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢.

٢٢- عويس، عبد الحليم، ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٨.

٢٣- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بين عمر، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٢.

٢٤- المقري، أحمد بن محمد بن أحمد، نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٦٨.

٢٥- المنجد، صلاح الدين (محقق) قصيدة إمبراطور الروم نقفور فوقاس في هجاء الإسلام والمسلمين وقصيدتا الإمامين القفال الشاشي وابن حزم الأندلسي في الرد عليه، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٢.

٢٦- الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٦.

Abstract

A Late Response: An Analogous Study Between the Poem of Nicephore Phocas and the Poem of Ibn Hazm.

By Dr. Mohammad Khazali

This is an analogous study between the poem which the Byzantine Emperor Nicephore Phocas 963-969 sent to the Abbasid Calif al-Mutiíe 946-9741 and the retort poem of Ibn Hazm of Andalusia (died 1064). In "his" poem, Nicephore expresses his pride in his victories over the Muslims and in capturing their lands. He also expresses his determination to repossess all lands in the hands of the Muslims so that he can put an end to Islam and replace it with Christianity. Ibn Hazm, in his poem retorts the threats and arguments of Nicephore, declaring that his victories were insignificant compared to the victories of the Muslims over the Byzantines in the past, and that Nicephore will never be able to realize his dreams and threats, expressed in his poem, because Muslims will defend their religion and lands.

The study also, raised a number of questions regarding the authenticity of Ibn Hazm's poem and the degree to which we can be certain in attributing it to him.